الفصل الثالث

شخصية المولى الخيالي وحياته

المبحث الأول

اسمه لقبه شهرته ونسبته

اتفقت كلمة المترجمين له على أن اسمه أحمد بن موسى[1] كما أنهم أشاروا إلى لقبه شمس الدين[2] .

هذا وقد اشتهر صاحبنا بين الباحثين وأهل العلم بـ«الخيالي» اشتهارا يكاد ينسي اسمه ولقبه . والمترجمون له جميعا ـ الذين تيسر لي الاطلاع على كتبهم ـ قد اتفقوا على هذا .

كما كان رحمه الله ينسب إلى مذهبه في الفروع فيقال «الحنفي»[3] كما ينسب أحيانا إلى الروم فيقال «الرومي»[4] على عادة علماء الأتراك كما أشرت إلى ذلك سابقا .

---

(١) الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده: ٨٥ ، البدر الطالع للشوكاني : ١٢١/١ ، الفوائد البهية للكنوي : ٤٣ ، شذرات الذهب لابن العماد : ٣٤٤/٧ ، كشف الظنون لحاجي خليفة : ٣٤٧ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١٣٤٨ ، ١٧٨٠ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ٣١٥/١ ، الأعلام للزركلي : ٢٤٧/١ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٣٦٨/٧ ، ٣٧٨ .

(٢) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية : ٨٥ ، شذرات الذهب : ٣٤٤/٧ ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية: ٤٣ ، الأعلام : ٢٤٧/١ .

(٣) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي : ٣٤٤/٧ .

(٤) البدر الطالع للشوكاني : ١٢١/١ .

المبحث الثاني

مولده ونشأته

ولايوجد في كتب التراجم التي اطلعت عليها أية إشارة إلى مكان ميلاد المولى الخيالي لا بالتحديد ولا بالتقريب . وفي مثل هذه الحالة لايسعنا أكثر من أن نقول إنه كان من علماء الأتراك ، ولد وعاش في الدولة العثمانية .

وأما تاريخ ميلاده فلم يشر إليه معظم من ترجموا له . فقد انفرد بالإشارة إليه ـ إشارة صريحة ـ الزركلي فقط [١] . والباقون ـ غير طاش كبرى زاده والشوكاني ـ قد اكتفوا بذكر تاريخ وفاته فقط ، والبعض منهم زاد وقام بضبط مدة حياته .

فعلينا إذاً أن نستنتج تاريخ ميلاده مما ذكر في تاريخ وفاته وسني عمره ولكن تاريخ وفاته أيضا مما لم يسلم من التضارب والتعارض .

فذهب أبو الحسنات اللكنوي [٢] إلى أنه «مات في أوائل عشر ستين وثمانمائة وكان سنه ثلاثا وثلاثين سنة» في حين أن كلا من حاجي خليفة [٣] ـ في أحد قوليه ـ والزركلي [٤] وبروكلمان [٥] يرى أنه توفى عام ٨٦٢ هـ . وواضح أنه لاتعارض بين قول أبي الحسنات وبين قول هؤلاء حيث يمكن الجمع بينهما .

---

(١) الأعلام للزركلي : ٢٤٧/١ .

(٢) الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات اللكنوي : ٤٣ .

(٣) كشف الظنون لحاجي خليفة : ١١٤٥ .

(٤) الأعلام : ٢٤٧/١ .

(٥) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٣٦٨/٧ .

ولكن هناك قولين آخرين ؛ أحدهما لحاجي خليفة ـ من قوليه المختلفين ـ يذهب فيه إلى أن وفاة الخيالي كانت عام ٨٧٠هـ[١] والآخر لابن العماد الحنبلي وعمر رضا كحالة [٢] يذهبان فيه إلى أنه توفى عام ٨٨٦ هـ/١٤٨١م .

وبيِّنٌ أن الجمع بين هذه الأقوال مما لا يخلو من التكلف والتعسف . فلا بد من الرجوع إلى الترجيح . ومعلوم أن الترجيح يجب أن يكون مستندا إلى أصل ما حتى لايكون عشوائيا .

فههنا نجد البعض ممن ترجموا للمولى الخيالي يشير إلى أنه توفى في ثلاث وثلاثين من عمره . وممن صرح بذلك طاش كبرى زاده والشوكاني واللكنوي [٣] . فحينما نعتبر تاريخ وفاته عام ٨٦٢ هـ يكون تاريخ ميلاده عام ٨٢٩ هـ . هذا ما صرح به صاحب الأعلام [٤] ولم يصرح به غيره .

وقد انفرد بروكلمان بقوله «وتوفى . . . في التاسعة والثلاثين من عمره سنة ٨٦٢ هـ / ١٤٥٨ [٥] فتاريخ ميلاده عنده عام ٨٢٣ هـ ؛ هذا ما لم يقل به أحد كما أن ضبطه لعمر الخيالي بتسع وثلاثين سنة يتصادم مع ضبط ثلاثة من المؤرخين الكبار ـ هم طاش كبرى زاده والشوكاني واللكنوي ـ لعمر الخيالي بثلاث وثلاثين سنة .

والقول بأن وفاته كانت عام ٨٨٦ هـ ـ كما ذهب إليه ابن العماد وعمر رضا كحالة ـ أو عام ٨٧٠ هـ ـ كما ذهب إليه صاحب كشف الظنون في أحد قوليه ـ مما لايتوافق مع تحديد الزركلي لميلاد الخيالي من ناحية ومع ضبط الشوكاني واللكنوي لعمر الخيالي من ناحية أخرى .

---

(١) كشف الظنون : ٣٤٧ .

(٢) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٣٤٤/٧ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة:٣١٥/١ .

(٣) البدر الطالع للشوكاني : ١٢١/١ ، ١٢٢ ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات اللكنوي : ٤٣ ،الشقائق النعمانية في تراجم علماء الدولة العثمانية لطاش كبرى زاده : ٨٦ .

(٤) الأعلام للزركلي: ٢٤٧/١ .

(٥) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٣٦٨/٧ .

فمنهج البحث يدعونا إلى الأخذ بما صرح به الزركلي ـ لأنه يتوافق مع ما يدل عليه كلام اللكنوي وحاجي خليفة في أحد قوليه وبروكلمان فيما يتعلق بتاريخ وفاته دلالةً التزاميةً مع الأخذ في الاعتبار أن عمر الخيالي حين وفاته كان ثلاثا وثلاثين سنة كما ذكر طاش كبرى زاده والشوكاني واللكنوي ـ في تاريخ ميلاده بأنه كان عام ٨٢٩هـ/١٤٢٥م وفي تاريخ وفاته بقول كل من اللكنوي وحاجي خليفة ـ في قوله الأول ـ وبروكلمان والزركلي بأنه كان عام ٨٦٢ هـ/١٤٥٨ م ، ونعرض عما عداها من الأقوال .

ولقد تربى المولى الخيالي في بيت العلم والقضاء ، وكان والده قاضيا[١] وعليه كانت تلمذته الأولى حيث قرأ عنده مباني العلوم[٢] ثم وصل إلى خدمة المولى خضر بن جلال الدين وهو مدرس بسلطانية بروسة [٣] وجمع من العلوم العقلية والنقلية ما يجعله من أمهر علماء هذا العصر وأبرزهم ، حتى صار معيدا لدرس أستاذه المولى خضر بك[٤] .

ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم انتقل إلى مدرسة « فلبة »(Philipopolis)[٥]. ولما توفى المولى « تاج الدين » الشهير بابن الخطيب والد خطيب زاده بـ« أزنيق » وهو مدرس بها عرض محمود باشا الوزير إلى السلطان محمد خان « الخيالي » . فقال السلطان أليس هو الذي كتب الحاشية على شرح العقائد وذكر فيها اسمك ؟ قال نعم . فقال إنه مستحق لذلك فأعطاه المدرسة المذكورة وعين له كل يوم مائة وثلاثين درهما[٦] .

---

(١) الشقائق النعمانية : ٨٥ .

(٢) الشقائق النعمانية : ٨٥ ، الفوائد البهية للكنوي: ٤٣ ، شذرات الذهب لابن العماد: ٣٤٤/٧ ، البدر الطالع للشوكاني: ١٢١/١ ، ١٢٢ .

(٣) الشقائق النعمانية: ٨٥ ، الفوائد البهية للكنوي: ٤٣ ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٣٤٤/٧ ، البدر الطالع للشوكاني: ١٢١/١ ، ١٢٢ .

(٤) الشقائق النعمانية :٥٦ ، ٨٥ .

(٥) المرجع السابق : ٨٥ .

(٦) المرجع السابق : ٨٥ ، ٨٦ ، الفوائد البهية : ٤٣ .

ولكن الخيالي كان قد تهيأ في تلك الأيام لأداء فريضة الحج فجاء قسطنطينية فأعلمه الوزير خبر تعيينه مدرسا بالمدرسة المذكورة . فلم يقبل «الخيالي» رحمه الله ذلك . فأبرم عليه الوزير محمود باشا فقال إن أعطيتني وزارتك وأعطاني السلطان سلطنته لا أترك هذا السفر . فحزن لذلك السلطان «محمد خان» وأمر أن يدرس معيده في تلك المدرسة إلى أن يرجع الخيالي من الحجاز . ولما رجع من الحج صار مدرسا بها . ولكنه لم يلبث إلا سنين قليلة حتى فاجأته المنية[1] .

وكان رحمه الله مشتغلا بالعلم والعبادة لاينفك عنهما ساعة وكان لايبالي بزخارف الحياة الدنيا ولايلتفت إلى اللذات والشهوات الدنية وكان متصفا بالكمال في ذكائه وأخلاقه وعلمه وتقواه وكان زاهدا ورعا فاستطاع أن يسجل اسمه ـ كما أظن ـ في عداد هؤلاء القلة القليلة الذين آثروا العلم على الزواج وما أعظمه من شرف !

وكان يأكل في كل يوم وليلة مرة واحدة وكان يكتفي بالأقل حتى صار نحيفا إلى الغاية . ويقال إنه كان يحلق سبابته وإبهامه ويدخل بينهما يده إلى أن ينتهي إلى عضده لشدة نحافته[2] . ويحكي لنا المولى «غياث الدين» ــ من تلامذة المولى الخيالي ــ «أني لازمته مقدار سنتين وقرأت عليه في بلدة «أزنيق» ولم أره فرح ولا ضحك وكان دائم الصمت مشتغلا بالعبادة وملاحظة دقائق العلوم وكان لايتكلم إلا عند مباحث العلوم[3] .

وكان الخيالي رحمه الله آية من آيات الله في العلم والتحقيق ونادرة من نوادر العصر وذا همة وقف دونها الفلك الدوار وعزمة أرهقها تقلب الليل والنهار ؛ أحيا دروس العلم أوان اندراسها وجدد معالم المجد إبان انطماسها ، إن حاول معضلةً تَوَقَّدَ اشتعالا ذكاء فطنته أو زاول مشكلةً تلألأ صفاءُ معينِ قريحته .

---

(١) انظر الشقائق النعمانية : ٨٥ ، ٨٦ والفوائد البهية: ٤٣ . ولا شك أن هذه الحادثة تدل على مدى تعففه عن مناصب الدنيا وثباته على أمره أمام الحكام والسلاطين مما يذكرنا سيرة السلف الصالح .

(٢) الشقائق النعمانية : ٨٦ ، الفوائد البهية : ٤٣ ، البدر الطالع للشوكاني: ١/١٢١ ، ١٢٢ .

(٣) الشقائق النعمانية : ٨٦ .

وكان دقيق الذهن وباهر الذكاء أفحم أكابر علماء عصره في دقائق العلوم . وكان كثير الدرس قليل الأكل . وصار يشار إليه بالبنان إلا أنه توفى شابا في ثلاث وثلاثين من عمره . ولم تمهله الأقدار لإبراز عظمته الفكرية وإتمام هيمنته العلمية . وحق ما قاله قائل في المولى الخيالي رحمه الله إنه «لو عاش لزاحم الشريف وأضرابه»[1] . هذا فضل من الله يؤتيه من يشاء .

ولقد اعترف له بالفضل الأقاصي والأداني وخضعت لغزارة علمه رقاب الملوك ومجالس العلماء . وخير دليل على ذلك أنه كان معيدا لدرس أستاذه المولى خضر بيك ثم تعيين السلطان محمد الفاتح إياه مدرسا في مدسة «أزنيق» . ويحكى أن المولى خواجه زاده ــ هو من هو ــ ما نام على الفراش قط إلى أن توفى المولى الخيالي احتراما لمكانته وخوفا منه لفضله[2].

ومازال الخيالي رحمه الله رفيع القدر وذائع الصيت ودائم العطاء لدى أهل العلم ويحيى من خلال ما تركه من المؤلفات وإن كانت قليلة ومن بينها ما كان ــ ولايزال ــ يمتحن به الأذكياء من العلماء فضلا عن الطلبة لدقته[3]، وما أجله من فخر! وسيأتي مزيد حديث عن ذلك حينما نتعرض لذكر مؤلفاته إن شاء الله .

وإلى جانب اهتمامه بالعلوم كان وثيق الصلة أيضا بطريقة العمل وآداب السلوك . وانخرط في سلك العلماء الربانيين ومارس التصوف عمليا وسلك طريقة الصوفية وتلقن الذكر[4]. وكان الشيخ عبد الرحيم المرزيغوني خليفة الشيخ زين الدين الخافي[5] هو الذي لقن الخيالي كلمة الذكر بالجامع الجديد بـ«أدرنة»[6] . ويقول طاش كبرى زاده «رأيته مكتوبا بخطه على ظهر بعض كتبه التي بخطه وهو كتاب التلويح»[7].

---

(١) البدر الطالع للشوكاني : ١/١٢١ ، ١٢٢ .
(٢) الشقائق النعمانية : ٨٦ .
(٣) الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده: ٨٧ ؛ شذرات الذهب لابن العماد : ٣٤٤/٧ ، كشف الظنون لحاجي خليفة: ١١٤٥ .
(٤) شذرات الذهب لابن العماد : ٣٤٤/٧ .
(٥) الشقائق النعمانية : ٤٣ .
(٦) المرجع السابق : ٨٦ .
(٧) المرجع السابق : ٨٦ ، ٨٧ .

المبحث الثالث

أساتذتـــه

ولم يذكر لنا المراجع المتوفرة لدي عن أساتذة المولى الخيالي كثيرا . والحديث في ذلك ينحصر في شخصين اثنين :

١- هو والده نفسه ولا نعرف عن سيرته كثيرا . وكل ما في كتب التراجم أنه كان قاضيا وقرأ عنده الخيالي مباني العلوم[١] .

٢- ثم وصل الخيالي إلى العلامة الكبير محقق علماء الروم المولى خضـر ابـن جلال الدين وهو مدرس بسـلطانية بروسـة وقد مر ترجمـة المولى خضـر بك بالتفصيل . ولا نعرف عن المدة التي قضاها الخيالي عند خضر بك . ويبدو أنها كانت قصيرة ثم ارتقى إلى منصب المعيد عند المولى خضر بك[٢] .

وهذان الاثنان وجدناهما في قائمة أسـاتذة الخيالي . ثـم هنـاك الشيـخ عبـد الرحيم المرزيغوني خليفة الشيخ زين الدين الخافي ؛ تلقن عنده الخيالي كلمة الذكر[٣] . ولعله قد استفاد منه علوم الصوفية . وعلى هذا يمكن اعتبـار الشيـخ عبـد الرحيم أيضا من أساتذة المولى الخيالي .

* * *

---

(١) الشقائق النعمانية: ٨٥ ، الفوائد البهية لأبي الحسنات اللكنوي : ٤٣ ، شذرات الذهب : ٣٤٤/٧ ، البدر الطالع للشوكاني: ١٢١/١ ، ١٢٢ .

(٢) المراجع السابقة الصفحات المذكورة .

(٣) الشقائق النعمانية: ٨٦ .

المبحث الرابع

تلامذته

لقد توجه المولى الخيالي نحو التعليم والتدريس بعد أن تمكن من العلوم والمعارف الدينية وكان دخوله في مجال التعليم معيدا لدرس أستاذه خضر بيك ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم انتقل إلى مدرسة «فلبة» وأخيرا تولى التدريس في مدرسة «أزنيق» . وقد مر هذا كله فيما سبق .

وكان ذا شخصية وعلى قدر كبير من العلم والذكاء والفطنة كما كان إنتاجه العلمي وفيرا غزيرا ، ولهذا كان اهتمام الناس به أكثر واستفادة الخلق منه أكبر . هذا ما تحكم به العادة وتميل إليه الطبيعة .

إلا أننا لم نتوصل إلى معرفة الكثير ممن تتلمذوا على الخيالي واستفادوا منه في هذه الفترة المذكورة وإن كانت قصيرة وإن المتوفر لدينا من المراجع لايحدثنا إلا عن القليل منهم كما يلي:

١- العارف بالله الشيخ أمر الله بن آق شمس الدين نجل العارف بالله الشيخ شهاب الدين السهروردي ووالده محمد بن حمزة الشهير بآق شمس الدين كان من كبار الأولياء في بلاد الروم ، وقد استوفى طاش كبرى زاده ترجمته في عدة صفحات في الشقائق النعمانية[1] وترجمة الشيخ أمر الله أيضا مذكورة فيه[2] وتوفى الشيخ رحمه الله في سنة تسع وتسعمائة .

٢- العالم الفاضل المولى «غياث الدين ابن أخي الشيخ العارف بالله تعالى آق شمس الدين» الشهير بـ«باشا جلبي» . وقد عده أبو الحسنات اللكنوي وطاش كبرى زاده من تلامذة الخيالي . وقد ترجم له الأخير ، وقال إنه رحمه الله كتب أسئلة في كل

---

(١) الشقائق النعمانية : ١٣٨-١٤٢ .

(٢) الشقائق النعمانية : ١٤٤ ، ١٤٥ .

فن وله رسائل لاتعد ولاتحصى ولكن لم يدون كتابا ، وتوفى سنة سبع أو ثمان وعشرين وتسعمائة[1] .

٣- المولى «كمال الدين إسمعيل القرماني» . ذكره اللكنوي وصاحب الشقائق في قائمة تلامذة المولى الخيالي . وهو الشهير بـ«قره كمال» صاحب التصانيف المفيدة والمشهورة . منها حواشي الكشاف ، حواشي تفسير البيضاوي ، حواش على حاشية الخيالي على شرح التفتازاني على العقائد النسفية[2] ، حواش على شرح الوقاية لصدر الشريعة وحواش على شرح المواقف للسيد الشريف الجرجاني وغير ذلك[3] . وقد ترجم له العلامة طاش كبرى زاده في الشقائق النعمانية . وقال بروكلمان إنه توفى عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م[4] .

* * *

المبحث الخامس

مؤلفاته

ومع قصر عمره استطاع المولى الخيالي أن يخلد ذكره ويسجل اسمه في سجل الخالدين بإسهامات مشكورة في مجال التأليف والتصنيف . ولقد ترك لنا مجموعة من المؤلفات جادت بها قريحته . مازالت ألسنة أهل العلم تذكرها بكل إجلال وإكبار ويستفيد منها الكبار قبل الصغار ويعتمد عليها ذوو البصائر والأبصار .

وبالبحث في كتب التراجم وجدت أن الخيالي قد صنف في مختلف فروع العلم من فقه وأصول وتفسير وكلام . وفيما يلي الحديث عن هذه المؤلفات :

---

(١) الشقائق النعمانية : ٨٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، الفوائد البهية للكنوي : ٤٣ .

(٢) توجد منها نسخة مخطوطة في مكتبة الأزهر الشريف تحت رقم «علم الكلام ٣٦٩١» ونسختان مخطوطتان في دار الكتب المصرية تحت رقم «توحيد ١١٦١ و ١١٦٢» .

(٣) الشقائق النعمانية : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، الفوائد البهية : ٤٣ ، كشف الظنون لحاجي خليفة : ١١٤٦

(٤) انظر الشقائق النعمانية : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٣٧٩/٧ .

١- حواش على شرح السعد على العقائد النسفية :

نسبها إليه كل من ترجم له[١] ممن اطلعت على كتبهم . ونسبة هذه الحاشية إلي الخيالي مما لم يعرف أن أحدا نازع فيه . حتى إن المحقق الكبير عبد الحكيم السيالكوتي في مستهل حاشيته على حاشية الخيالي هذه لم يصرح باسمه بينما صرح باسم السعد التفتازاني ـ صاحب الشرح ـ اكتفاء بوضوح الشهرة واليقين المغني عن التصريح كما فسر ذلك بعض المحققين [٢] .

وهذه حاشية عجيبة الشأن وعظيمة القدر وعديمة النظير ؛ تلقاها علماء الأمة جيلا بعد جيل بكل رضى وقبول . وأرى أنه لو لم يكن للخيالي تأليف غير هذه الحاشية لكفته فخرا ودلالة على شخصيته .

ولعل من المناسب أن نتعرض لذكر عقائد النسفي وشرح السعد عليها بإيجاز تتميما للبحث . أما كتاب عقائد النسفي فهو للإمام الهمام العلامة الشيخ نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن على بن لقمان النسفي السمرقندي المتوفى عام ٥٣٧ هـ/١١٤٢ م . وهو متن متين مشهور اعتنى به جمع كبير من العلماء بالشرح والتوضيح حيث إنه مختصر وجيز[٣] .

---

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة: ١١٤٥ ، الشقائق النعمانية: ٨٧ ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية: ٤٣ ، شذرات الذهب لابن العماد : ٣٤٤/٧ ، البدر الطالع للشوكاني: ١٢١/١ ، ١٢٢ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٣٦٨/٧ ، معجم المؤلفين لكحالة: ٣١٥/١ ، الأعلام للزركلي: ٢٤٧/١ .

(٢) انظر حاشية السيالكوتي على الخيالي على شرح العقائد مع جامع التقارير على السيالكوتي: صـ٣ .

هذا والتأكد من صحة نسبة أي كتاب إلى مؤلفه أمر ضروري عند الباحث المسلم . وهذا الشرط لايتوفر في كثير من الكتب المنشورة قديما وحديثا . وكثيرا ما ينسب الأقوال إلى غير قائلها بسبب تلاعب العابثين بالكتب . وقد أشار التاج السبكي إلى محاولة المجسمة للدس في شرح الإمام النووي الأشعري لصحيح مسلم في تأويل أحاديث الصفات المتشابهة وغيره . وعلى هذا لابد أن يتأكد الباحث المنصف من صحة نسبة كثير من الكتب إلى أئمتنا . فإن وجد فيها ما يخالف أصول مذهبهم - من التجسيم وغيره ـ فليس من منهج البحث العلمي الصحيح في شيء أن ينسب ذلك إليهم . انظر الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي: ١٢٣ .

(٣) انظر كشف الظنون : ١١٤٥ . وانظر في ترجمة النسفي سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧٤/١٢ ، شذرات الذهب لابن العماد : ١١٥/٤ ، الفوائد البهية للكنوي : ١٤٩ ، ١٥٠ ومعجم المؤلفين لكحالة: ٥٧١/٢ .

وممن شرحه العلامة الثاني سعد الدين التفتازاني المتوفى عام ٧٩١ هـ . وكان فراغه من تأليفه في شعبان عام ٧٦٨ هـ[١] لقد اعتنى العلماء بشرح التفتازاني هذا اعتناء لامزيد عليه ، حتى بلغ تعداد تلك الشروح والحواشي الموضوعة حول هذا الكتاب ــ في حدود تتبعنا ــ أكثر من ستين مؤلفا . ولحسن حظ هذا الشرح أن القدر الكبير من تلك المجموعة بقي محفوظا في خزائن الكتب عندنا وفي الخارج دون أن تمسه عوادي الدهر . والمطبوع منه أيضا ليس بعدد يستهان به بالنسبة إلى كثير من تراثنا الثمين .

هذا وإن عقائد النسفي حظيت بشروح كثيرة غير الذي للتفتازاني مما يرفع قيمة هذا المختصر . إلا أننا لم نعرف أيا من تلك الشروح كتب له الذيوع والانتشار وسجل له الحضور والخلود في الدوائر العلمية مثل الذي لشرح السعد رحمه الله .

ومما يمتاز به هذا الشرح حسن ترتيبه وقوة بيانه واشتماله على جل المسائل الكلامية مع خلوه عن التعقيدات الفلسفية الجافة فتقبله الجميع قبولا حسنا حتى إننا نجد في مناقب بعض أئمة الأمة من يذكر عنه أنه كان يحفظ شرح العقائد عن ظهر قلب . واحتل هذا الكتاب مكان الصدارة في مناهج المدارس والجامعات الإسلامية عبر العالم الإسلامي أجمع ؛ وعلى رأسها جميعا هذه الجامعة العريقة أزهر أمتنا العزيزة حفظها الله من كل سوء ومكروه .

لقد كثرت الحواشي والتعليقات على شرح التفتازاني هذا كما سبق أن قلنا كثرة قد لا يكون لها نظير فى تاريخ التراث الإسلامي ، لقد أورد حاجي خليفة حوالي خمسين مؤلفا فقط من تلك المجموعة[٢] . ثم هناك إضافات لم يذكرها ووجدتها في بعض كتب التراجم وفى فهارس المكتبات العامة مثل مكتبة الأزهر الشريف ودار الكتب المصرية وغيرها ، وليس من اللازم أن نسردها في هذا البحث .

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة ، وستأتي ترجمة التفتازاني إن شاء الله هذا ومن المستغرب جدا ما قيل في نسبة هذا الشرح إلى التفتازاني من نزاع ، وقد أجاد في الرد عليه صاحب جامع التقارير فليراجع:١٩ .

(٢) كشف الظنون لحاجي خليفة: ١١٤٥-١١٤٩ .

هذا وإن الحاشية التى جاد بها قلم المولى الخيالى على شرح السعد حاشية منقطعة النظير حقا ، لا مبالغة في هذا ، وقلما يتذكر العلماء شرح السعد دون أن يتذكروا معه حاشية الخيالى هذه . وشخصية الخيالى أيضا لا تخطر بالبال إلا ويخطر معها حاشيته هذه . ولهذا لم ينس ذكرها أحد ممن ترجم للخيالى . لقد طبعت هذه الحاشية فى مختلف أرجاء العالم الإسلامي من مصر والهند وتركيا وغيرها من البلاد العربية وغير العربية مرات كثيرة . وعدد نسخها المخطوطة فى مكتباتنا العالمية الكبرى كثير جدا يصعب حصره . هذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى أهمية هذه الحاشية .

وفى الحقيقة فإن هذه الحاشية مرآة شفافة تعكس شخصية الخيالى الفكرية والعلمية جيدا ، ولعل سبب ذلك يرجع إلى أنه قد ألفها فى أواخر حياته كما يفهم من كلام حاجي خليفة [1] الذي ذكر أن تاريخ تأليفها كان فى أواخر رمضان سنة ٨٦٢هـ حل «سوَّدَ لِشَرْحِ الْعَقَائِدِ» (٨٦٢) حسب حساب الْجُمَّل .

ومن مفاخر هذه الحاشية أنه كان يمتحن بها الأذكياء من الطلاب لدقتها . وهذا القول نقلته عن كل من طاش كبرى زاده وحاجي خليفة وابن العماد[2] . وهو كما قالوا لأننا نشاهد فى عصرنا أيضا دليل صدق على هذا القول في الدوائر التي تنتسب إلى العلم ـ طلبة أو غيرهم ـ ومعظمهم يعتمدون على تقريرات العلامة عبد الحكيم السيالكوتي لفهم ما في حاشية الخيالي ويوصون بها طلبتهم .

ولقد اعتنى العلماء بهذه الحاشية لدقتها وصعوبتها اعتناء بالغا ، وكتبوا عليها تقريرات وحواش يبلغ عددها أكثر من عشر مؤلفات ، بعضها مطبوع والبعض الآخر مازال مخطوطا في خزائن الكتب . وأحسنها حاشية العلامة المحقق عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي الهندي المتوفى عام ١٠٦٧ هـ[3] . وهي مطبوعة عدة طبعات في أماكن مختلفة مقبولة عند العلماء متناولة بينهم .

---

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة: ١١٤٥ ، الفوائد البهية لأبي الحسنات اللكنوي: ٤٣ .

(٢) الشقائق النعمانية : ٨٧ ، كشف الظنون: ١١٤٥ ، شذرات الذهب : ٣٤٤/٧ .

(٣) كشف الظنون : ١١٤٨ . انظر للتعرف على بعض تلك الحواشي ـ مثلا ـ هدية العارفين للبغدادي: ٣٩٣/١ ، ٢٣٥/٢ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ٤١/١ ، ٦٨٠ ، ٧٢٥ ، ٧٦٩ ، ٥٤٩/٢، ٦٧٤ ، ٢٩٢/٣ ، ٦٠٤ ، ١٨٣/٤ .

٢- حاشية على شرح الشريف الجرجاني للعقائد العضدية :

نسبها إلى الخيالي كل من حاجي خليفة وعمر رضا كحالة[١] . ولم أعثر على نسخة منها . والعقائد العضدية معروفة للباحثين . وهي للقاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي المتوفى عام ٧٥٦ هـ . وهي مختصر مفيد ولما أتم تأليفها قضى نحبه بعد اثني عشر يوما فيكون آخر تآليفه على ما ينقله صاحب كشف الظنون حكاية عن بعض الشروح[٢] .

وقد اعتنى بهذا الكتاب ـ مختصر العضد ـ كبار علماء الإسلام شرحا وتحشية وتعليقا ومن أشهر شروحه ما ينسب للجلال الدواني المتوفى عام ٩٠٨ هـ . وقد علق عليه الكلنبوي والخلخالي والمرجاني وكذا جمال الدين الأفغاني إلا أن تعليقة هذا الأخير شايعة النسبة إلى تلميذه محمد عبده[٣] . وقد شرح كتاب الإيجي أيضا المحقق السيد الشريف الجرجاني شارح المواقف . وحاشية الخيالي التي أتحدث عنها على هذا الشرح .

٣- حواش على أوائل شرح التجريد للطوسي :

ينسبها إلى الخيالي كل من طاش كبرى زاده وحاجي خليفة وابن العماد والشوكاني واللكنوي والزركلي وكحالة[٤] . وتجريد العقائد هو أنفس ما كتبه نصير الدين محمد بن محمد الطوسي (٥٩٧ هـ/١٢٠١ م - ٦٧٢ هـ/١٢٧٤م)[٥] على الإطلاق ، كما يرى البعض من الباحثين نظرا للدور الذي قام به هذا الكتاب في

---

(١) كشف الظنون : ١١٤٤ ومعجم المؤلفين لكحالة : ٣١٥/١ .

(٢) كشف الظنون : ١١٤٤ . وستأتي ترجمة الإيجي إن شاء الله .

(٣) انظر مقدمة كل من سيد هادي خسرو شاهي و محمد عمارة لـ«لتعليقات على شرح القصائد العضدية: ١١ ، ١٢ ، و١٥ وما بعدها .

(٤) الشقائق النعمانية : ٨٧ ، كشف الظنون : ٣٤٧ ، شذرات الذهب : ٣٤٤/٧ ، البدر الطالع : ١٢١/١ ؛ ١٢٢ ، الفوائد البهية : ٤٣ ، الأعلام : ٢٤٧/١ ومعجم المؤلفين: ٣١٥/١ .

(٥) انظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير: ٢٨٣/١٣ ، كشف الظنون : ٩٥، ١٣٩، ١٤٢، هدية العارفين للبغدادي : ١٣١/٢ ، الأعلام : ٢٥٧/٧ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ٦٣٦/٣ ، ٦٣٧ .

تأسيس الفلسفة الكلامية أو علم الكلام الفلسفي[1] . لقد كثرت عليه الشروح والحواشي وبلغت أكثر من أربعين مؤلفا[2] ومن بينها حاشية المولى الخيالي هذه .

٤- تعليقة على شرح المقاصد :

ينسبها إليه حاجي خليفة حاكيا عن كتاب الذيل للمجدي ، ولم أجد نسخة منها أيضا [3] . و كتاب المقاصد وشرحه لسعد الدين التفتازاني من أمهات الكتب الكلامية على الطريقة الأشعرية . لقد حظيت بصيت كبير في الدوائر العلمية . انتهج فيه المؤلف منهج أستاذه القاضي عضد الدين الإيجي في المواقف ، إلا أن له اختيارات وابتكارات ينفرد بها .

٥- حاشية على تفسير البيضاوي :

ينسبها إليه صاحب الشقائق ، وقال «ورأيت أيضا بخطه تفسير القاضي البيضاوي وكتب على حواشه كثيرا من أفكاره اللطيفة»[4] . والتفسير المذكور هذا أشهر مؤلفات القاضي الإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي ، المتوفى عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م ، وهو غني عن التعريف[5] . هذا وإني لم أعثر أيضا على حاشية الخيالي على هذا التفسير .

٦- شرح القصيدة النونية :

وهو الكتاب الذي أقوم بتحقيقه ودراسته وسأتحدث عنه بالتفصيل في الفصل القادم إن شاء الله .

---

(١) مقدمة الدكتور عباس حسن لتحقيقه لكتاب تجريد العقائد : ٩ .

(٢) كشف الظنون : ٣٤٧ ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده : ١٧٨ .

(٣) كشف الظنون : ١٧٨٠ .

(٤) الشقائق النعمانية : ٨٧ .

(٥) ستأتي ترجمته في الفصل الأول من الباب الثاني من القسم الثاني .

٧- حاشية على حاشية الجرجاني على شرح الإيجي على مختصر ابن الحاجب:

ينسبها إلى الخيالي صاحب كشف الظنون وعمر رضا كحالة[١] ولم أعثر على نسخة منها . ومختصر ابن الحاجب هذا هو المسمى بـ«منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل» ، ألفه الشيخ الإمام جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي الأشعري المتوفى عام ٦٤٦ هـ . وهذا الكتاب يعتبر من أهم المتون في أصول الفقه والجدل كما يشير إليه اسمه .

وقد اعتنى بهذا المختصر جم غفير من العلماء المحققين بالشرح والتوضيح حتى بلغ تعداد تلك الشروح والحواشي عليه حسب ما ورد في كشف الظنون أكثر من خمس وستين مؤلفا . ومن أشهرها وأحسنها «رفع الحاجب شرح مختصر ابن الحاجب» لتاج الدين السبكي الشافعي الأشعري رحمه الله ، وهو مطبوع حديثا . وكثيرا ما يحيل إليه السبكي في سائر مؤلفاته ـ مثل طبقات الشافعية الكبرى وغيرها ـ حينما يتعرض لقضية كلامية أو أصولية . ومن أشهرها أيضا شرح العلامة عضد الدين الإيجي ، وهو أيضا مطبوع وعليه حواش كثيرة منها حاشية الشريف الجرجاني وقد كتب صاحبنا الخيالي حاشيته على حاشية الجرجاني هذه[٢] .

٨- حاشية على التلويح :

ينسبها إلى الخيالي صاحب الشقائق النعمانية قائلا : «رأيت بخطه كتاب التلويح وكتب في حواشيه كثيرا من كلماته »[٣] . وكتاب التلويح هذا من أهم مؤلفات المولى التفتازاني وقد كتبه على كتاب التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه الحنفي للإمام القاضي صدر الشريعة الأصغر عبيد الله بن مسعود المحبوبي البخاري الحنفي المتوفى عام ٧٤٧ هـ/١٣٤٦م [٤] . هذا ولم أعثر أيضا على هذه الحاشية للخيالي .

---

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة : ١٨٥٧ ومعجم المؤلفين لكحالة : ٣١٥/١ .

(٢) انظر للتفصيل كشف الظنون : ١٨٥٣ ــ ١٨٥٧ .

(٣) الشقائق النعمانية : ٨٧ .

(٤) انظر في ترجمته الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي: ١٠٩-١١٢ ، كشف الظنون لحاجي خليفة : ٤١٩ ، ٤٩٦ ، ١٠٤٧ ، ١٢٧٠ ، ١٩٧١ ، ٢٠١١ ، ٢٠٢١ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ٣٥٥/٢ .

٩- حاشية على وقاية الرواية في مسائل الهداية :

ينسبها إليه كل من حاجي خليفة وعمر رضا كحالة ، ولم أعثر على نسخة منها . ووقاية الرواية كتاب في الفقه الحنفي للإمام برهان الشريعة محمود بن صدر الشريعة الأول عبيد الله المحبوبي المتوفى عام٦٧٣هـ/١٢٧٤م[١] . وهو متن مشهور اعتنى به العلماء بالقراءة والتدريس والحفظ ، وممن اشتغل به المولى الخيالي وقد كتب عليه حاشية[٢] .

ثم لا يفوتني أخيرا أن أسجل أثرا ينسب للخيالي تعرض له صاحب الشقائق النعمانية (ص٨٦) وصاحب كشف الظنون (ص٢٢١) وذكره الأخير بعنوان «بحث المولى الخيالي وخواجه زاده» ، وإن هذا البحث جرى في الجامع وأن الخيالي هو الذي غلب فيه واعترف خواجه زاده بفضل الخيالي وغزارة علمه .

هذه هي الآثار التي سجلها المؤرخون للمولى الخيالي ، وهي تكفينا للتعرف على شخصيته العلمية البارزة ومكانته في تاريخ الفكر الإسلامي ، رغم أنه لم يعمر إلا قليلا ، لكنه عاش عيشةَ متنسكٍ عرف أن الدنيا مزرعة الآخرة .

* * *

المبحث السادس

وفاة المولى الخيالي وثناء العلماء عليه

ولقد اختلفت كلمة المؤرخين في تاريخ وفاة المولى الخيالي . ويرى البعض منهم أنه توفى عام ٨٦٢ هـ أو قريب من ذلك[٣] . وهذا هو الذي يتفق أيضا لما

---

(١) انظر ترجمته في هدية العارفين للبغدادي: ٤٠٦/٢ ومعجم المؤلفين لكحالة: ٨١٨/٣ .

(٢) كشف الظنون لحاجي خليفة: ٢٠٢٠ ــ ٢٠٢٣ ومعجم المؤلفين: ٣١٥/١ .

(٣) كشف الظنون لحاجي خليفة: ١١٤٥ ، ١٨٥٧ ، الفوائد البهية للكنوي: ٤٣ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣٦٨/٧ ، الأعلام : ٢٤٧/١ .

حكاه بعض المؤرخين من أن عمره حين وفاته كان ثلاثة وثلاثين عاما حينما نقارن ذلك بتاريخ ميلاده كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق[1] ، هذا هو الذي أرجحه ـ كما سبق أن قلت في مبحث مولده ـ على ما قيل من أنه توفى في عام ٨٨٦ هـ[2] وقيل ٨٧٠هـ[3] والله أعلم .

كانت حياة المولى الخيالي رغم قصرها حافلة بالأحداث ، عامرة بالعلم والعبادة . وكان حلقة وصل جديرة بالذكر والتقدير في تاريخ أمة وفي تواصل فكر وإحداث نهضة في مسيرة جماعة فجزاه الله عنا وعن الأمة الإسلامية أحسن ما يجزى به عالما عن قومه ومحبيه ، ونسأل الله أن ينفعنا به في الدارين وأن يجمعنا معه في دار النعيم المقيم .

ولقد أعرب العلماء والمؤرخون عن عظيم احترامهم وتقديرهم لهذه الشخصية الفذة ، الأمر الذي يدل على أن مكانة الإمام الخيالي في قلوبهم ومنـزلته فيما بينهم كانت عظيمة وجليلة . وقد أشار المؤرخ العثماني الكبير طاش كبرى زاده إلى شخصية الخيالي الجليلة حيث قال : « كان رحمه الله عالما عاملا فاضلا تقيا نقيا زاهدا متورعا » ، وحكى عن المولى « خواجه زاده » أنه ـ أي خواجه زاده ـ « ما نام على الفراش قط إلى أن مات المولى الخيالي خوفا منه لفضله »[4] . وأرى أنه يكفي لمعرفة مكانة الخيالي لدى المؤرخين ما قاله عنه الشوكاني في كلمات موجزة : « مات وله ثلاث وثلاثون سنة شابا ، ولو عاش لزاحم الشريف ـ يعني السيد الشريف الجرجاني ـ وأضرابه »[5] .

---

(١) قلنا إن مولده كان عام ٨٢٩ هـ / ١٤٢٥ م .

(٢) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٣٤٤/٧ .

(٣) كشف الظنون: ٣٤٧ .

(٤) الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده: ٨٥ ، ٨٦ .

(٥) البدر الطالع للشوكاني: ١٢١/١ ، ١٢٢ .